

حلة الحاج على

فى ستينات القرن الماضى ، وحين كان بناء البيوت والعمارات للإيجار استثمارا يدر دخلا شهريا ثابتا على أصحابها ، كان الحاج على ، وهو أحد مالكي أسطول كبير من عربات الكارو ، قد انتهى من بناء عمارته الضخمة ، وخصص أدوارها الثلاثة الأخيرة لزوجاته الثلاث وأولاده منهن . ولأئنى كنت صديقا لأحد هؤلاء فقد كان يدعونى للمذاكرة معه وكذلك للترثرة فى شقتهم الفسيحة حين تكون أمه وباقى إخوته فى إحدى الشقق الأخرى . وكنا عندما نشعر بالجوع نتوجه إلى المطبخ ، حيث توجد حلة كبيرة جدا ، وهى مملوءة بقطع اللحم الأحمر المسلوق الذى تبلغ كل واحدة فيهما يقرب من نصف كيلو . وكان صديقى يأتى بمغرفة ويخرج لكل منا قطعتين ، ولأن اللحم كان بدون ملح تقريبا ، ولما أدري لماذا ؟ فقد كنا نعمل خلطة من الملح والفلفل والكُمون ، ونتناول اللحم بقليل من الخبز . بعدها لنا نكون قادرين بتاتا على المذاكرة ولما حتى الترثرة ، فنقرر النزول إلى الشارع للعب الكرة الشراب .

كان الحاج على يجلس بعد العصر فى المقهى الذى يملكه أيضا تحت العمارة ، ثم يبدأ فى المتوافد عليه العديد من العربجية الذين يحملون له نصيبه من عائد اليوم . وفى العادة لم يكن يرضيه المبلغ أبدا ، لذلك كان يشتم بأقذع الألفاظ بل ويمد يده أحيانا . ومن الغريب أن أحدا من هؤلاء جميعا لم يكن يغضب منه أو يتمرد عليه ، لأنهم كانوا يعرفونه جيدا : سريع الغضب .. سريع العفو والإكرام

بسزاء .

ومن إحدى بلكونات الأدوار العليا ، تصطف زوجاته الثلاث ، كل منهن بقميص نوم فاقع وبحمالات ، وأذرعهن البيضاء السمينة مكشوفة للعيان . وكانت أعينهن مركزة دائما على ناحيتين : الأولاد وهم يلعبون فى الشارع ، والحاج على وهو جالس على مقفاه يشرب المشيشة . أما هو فلم ألاحظ أبدا أنه ينظر ناحيتهن على الإطلاق !

كان أبى غير مرتاح تماما لصدافتى مع أحد أبناء الحاج على ، لأنه لم يكن يحترمه بسبب مهنته ، وصياحه العالى ، وتعدد زوجاته . أما أنا فقد كنت أراه بعين أخرى ، لا بد أنها كانت ترجع إلى أننى أحد أكلة اللحم من حلته !